وَمَضَات وَعِبَر مِن ذِكْرى أَوَّل نُوفَمْبر

2023-11-03

الحمد لله الذي جعل السيف فرقانا بين الحق والباطل، وأنتج من المتضادّات أضدادَها، فأخرج القوّة من الضّعف. وولّد الحرية من العبودية. وجعل الموت طريقا إلى الحياة، وبايعه عبادُه المؤمنون الصادقون على الموت، فباءوا بالصفقة الرابحة، ((إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ. يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ. وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ. وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ. فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ. وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)). وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، شهادة مَن ظنّه في ربه جميل. ونشكره عزّ وجلّ شُكر ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا. وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)). وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وصفيّه من خلقه وخليله. مجّد الحرية. وأعلى الراية الإسلامية. وأظهر السرور في الأعياد الدينية والوطنية،

يا أمّةً لنبيٍّ نورُه سطعَا * وعزّ مقداره في المجد وارتفعَا

كم سدّ فاقةَ محتاجٍ وكم نفعاً * هذا الذي بالهدى والدين قد صدعَا

صلّوا على المصطفى يا كلَّ مَنْ سمعَا

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. الحاشر العاقب. الرفيع المكانة والجانب. وعلى آله الأجلّة الأطايِب. وصحابته الشجعان فرسان الكتائب. صلاة تدفع بها عنّا جميع الشدائد والمصائب. وتستر ببركتها ما ظهر منّا وما بطن من القبائح والمعايب. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. القرآن الكريم يربط ماضي البشرية بحاضرها، وحاضرها بماضيها. وقد قَصّ علينا من أنباء السابقين مصلحين ومفسدين، قال تعالى في سورة آل عمران: ((قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ

سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)). ونحن نقرأ في سورة سيّدنا إبراهيم على نبيّنا وعليه السلام، أَمْرَ الله لنجيّه سيّدنا موسى عليه السلام أن يُذَكِّر بني إسرائيل بأيّام الله، قال تعالى: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ. إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)). فكل الأيام، أيام الله، ولكن المقصود هنا، أن يذكِّرهم بالأيام التي يبدو فيها أمرٌ بارز بالنِّعمة أو النِّقمة. ففي هذه الأيام التي فيها بؤس، ففيها آية للصبر، وما فيها نعيم، فهي آية للشكر. والصبّار الشكور هو الذي يُدرك هذه الآيات، ويُدرك ما وراءها، ويجد فيها العبرة والعظة، كما يجد فيها تسرية وتذكيرا. أيّها المسلمون. وها هي تسع وستّون سنة تمرّ على إندلاع الثورة التحريرية الجزائرية. ضدّ المستعمر الفرنسي. بعد 124 سنة من الإحتلال المباشر. الذي ألغى تمامًا وجود الكيان الجزائري. وفرض بالحديد والنارِ سُلطتَه وقانونَه. وثقافتَه وحضارتَه. وظَنّ أنه نجح نهائيًّا في رَبْط ضَفَتَيْ البحر المتوسَّط للأبد. وضبط تعريفا لبلاده أنها تمتد من (لِيلْ) إلى (تمنراست). وهكذا مَرّ الليل كئيبًا طويلا على الجزائر. حتى لاحت تباشير الفجر ليلة الإثنين 1 نوفمبر 1954م. باندلاع شرارة الجهاد المبارك. الذي هَزّ المستعمر الفرنسي. وأجبره على الإستيقاظ من أوهامه. وبث الأمل في الشعب الجزائري بالحرية، أيّها المسلمون. يقول الله عز وجل في سورة الأنفال: ((وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)). إنّ هذا النص القرآني المبارك لينطبق بظاهر لفظه علينا نحن الجزائريون. في هذه البقعة المباركة من أرض الله تعالى، التي تسمّى بالجزائر، فقد أتت علينا مرحلة من الزمن إستضعفنا فيها المستعمرون الفرنسيّون، فلم نكن نأمن فيها على أنفسنا وأعراضنا وأموالنا. ثم بعد تضحيات جسام لشعب الجزائر أتت بشائر النصر، وبدّلنا الله بعد خوفنا أمنا، وبعد استعمارنا حرية وسيادة. قال تعالى في سورة آل عمران: ((وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ

اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)). فاذكروا هذا أيها الجزائريون. واشكروا الله على نعمة النصر والتمكين، قال تعالى في سورة إبراهيم: ((وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)). أيّها المسلمون. إنّ ثورة التحرير المباركة ثورة يجب تذكّرها. وتذاكرُها، والتذكيرُ بها، لنعلم جميعا أنّ سنّة الله في مَن خالف منهجه. وحارَب أولياءه معلومة، ونعلم كذلك أنّ جُند الله هو المنصورون، ((وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)). كما ينبغي أن نعلم يقينا أنّ قتال الجزائريّين كان من أجل العقيدة وإعلاء كلمة الله، وأنّ النصر لم يأت بحنكة مفاوِض أو مظاهرة مسانِد متعاطِف أو تأييد دُوَل الكفر والإلحاد، وإنما جاء بفضل نصرة الله تعالى للرجال الصادقين الذي تسلّحوا بسلاح العقيدة والإيمان. لمجابهة قِوى الشر والطغيان. فثورة أوّل نوفمبر المجيدة، ثورة عظيمة صنعت التاريخ، وبهرت العالم، وقهرت الجبابرة، وقصّرت آمال المستعمرين، وقصمت ظهور المستدمرين، وغيّرت مجرى الأحداث، وأعطت لشعوب العالم دروسا عملية في الجهاد والتضحية والثبات والإستشهاد. أيّها المسلمون. إنّ هذه الثورة تختلف وتتميّز عن كثير من الثورات والمقاومات في العالم بأمر هام، قَلمَّا يَتطرّق إليه المؤرِّخون والمحلِّلون والباحثون, على الرغم من كونه العامِل الحاسِم، والمؤثِّر في النصر والتمكين، ألا وهو: الجانب الرباني في ثورة التحرير المباركة. فلقد كانت ثورتنا ربانية من أوّل وَهْلة. فنشيدها: (الله أكبر)، وكلمة سرّها: (خالد وعقبة)، وحملة سلاحها: هم المجاهدون. وقتلاها: هم الشهداء. وقادتها: هم حملة القرآن الكريم. وإنّ بيان أوّل نوفمبر لَيُقرِّر هذه الحقيقة الهامّة بوضوح، إذ نَصّ على أنّ الهدف الأوّل للثورة هو: (إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضِمن إطار المبادئ الإسلامية). وحينما نرجع إلى القرآن الكريم نجده يكشف لنا في العديد من آياته عن طبيعة وحقيقة أعداء الإسلام، ويبيّن لنا غاياتِهم وأهدافَهم، وما تكنّه ضمائرهم من حِقد دفين على حملة هذا الدين، ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ((وَلَن تَرْضَىٰ

عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)). وقوله تعالى: ((وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا)). أيّها المسلمون. إنّ ما أحرزناه من نصْر، وما ننعَم به اليوم من حرية وسيادة، وأمن واستقرار؛ فبسبب تضحيّات الشهداء الأبرار، الذين قدّموا أرواحهم فداء لعقيدتهم وشعبهم ووطنهم، وبذلوا في سبيل ذلك دماءهم الطاهرة؛ استأثروا برحمة الله وفي سبيل الله. تركوا أهلهم، وباعوا أنفسهم وأموالهم، فاشتراها منهم ربهم بجنّة عرضها السموات والأرض، ونعيم مقيم. قال تعالى في سورة التوبة: ((إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ. يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ. وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ. وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ. فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ. وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)). كانوا يسارعون إلى الاستشهاد استجابة لأمر الله عزّ وجل، وتلبية لنداء الوطن، موقنين بأنّ الموت في هذا السبيل حياة، وأنّ ما عند الله خير وأبقى. قال تعالى في سورة آل عمران: ((وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا. بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ. الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ. لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ. الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا. وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ. وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)). أيّها المسلمون. إنّ في ذِكْرى أَوَّل نُوفَمْبر لَوَمَضَات ودروس وَعِبَر نستخلصها فيما يلي: أوّلا: ما أُخِذ بالقوّة لا يُسترجَع إلا بالقوّة. هذا هو ما يفهمه أيّ عدوّ سلب أرض وإرادة وحرية شعب عبْر التاريخ. وهو ما يصلح تماما في حالة فلسطين حاليا، لا يعني هذا إستبعاد أيّ حوار مع العدوّ. لكن الضغط العسكري المتزامن مع أيّ مفاوضات هو الذي يُحقّق الهدف ومن موقع قوة. ثانيا: التخطيط المُحكَم. والإعتماد على النفس.

والترفّع عن أيّ قضية هامشية تفرّق بين الإخوة. والتركيز على محاربة العدوّ هي أهمّ عوامل نجاح أيّ حركة وطنية تحريرية. ثالثا: وأهمّ عامل في نجاح ثورة أوّل نوفمبر هي نية مفجّريها الأوائل. واعتبارها جهادا خالصا في سبيل الله، فكانت الصَّيْحة الخالدة (الله أكبر). هي إعلان بداية أيّ هجوم ضد العدوّ. كما وُصِف المقاتلون بالمجاهدين. والقتلى بالشهداء، والأجمل أنه رغم طول مدة الغزو الفرنسي لم ينس آباؤنا استخدام تراثنا الإسلامي في التحضير للعمليات. فكانت كلمة السر في تلك الليلة المباركة هي: (خالد. عقبة). تيمنا بسيّدنا خالد بن الوليد وبالفاتح سيّدنا عقبة بن نافع. رضي الله عنهما. رابعا: تحديد هدف واضح لأيّ كفاح مسلَّح، وكما تحقّق هدف الإستقلال أخيرا يوم 5 جويلية 1962م. لكنه فقط نهاية الجهاد الأصغر، وتبدأ مرحلة الجهاد الأكبر. وهي مسؤولية كبيرة. وأمانة عظيمة. نتحمّلها إلى الآن مهما كانت الظروف، والتي وُضِعت لها الخطوط العريضة في بيان أوّل نوفمبر 1954م. أيّها المسلمون. وفي الأخير أقول: لقد كانت ولا زالت الثورة الجزائرية مشعلا لكل مَن يتوقّ للحرية. وهي التي الآن تُدرَّس في أغلب الجامعات. كما أنه لا مطمع لأحد أن يستوعب جميع الدروس والعِبَر، ولكن ما لا يُدرَك كلّه لا يُترَك جُلّه، وربما كفانا منه القليل، فقط أردتُ منكم وأنتم تحتفلون بهذه الذكرى، أن لا تقفوا عند مجرَّد سَرْد الحوادث دون وُقوف على ما وراء تلك الحوادث، من مبادئ قام عليها الجهاد، وقِيَم تحلّى بها المجاهدون، وعِبَر ومعانٍ يجب توصيلها للأجيال، فاذكروا هذا أيّها المسلمون. وحافظوا على تراثكم المجيد، ومجدكم العظيم، الذي ورثتموه عن أسلافكم، واتّقوا الله لعلكم ترحمون. اللهم ارحم الشهداء برحمة واسعة من عندك. اللهم أسكنهم فسيح جنّاتك مع الأنبياء والصّدّيقين. اللهم تقبّل شهادتهم. اللهم أسكنهم الفردوس الأعلى. اللهم اجلعهم ممن تظلّهم تحت عرشك يا رب العالمين. اللهم اغفر لهم وارحمهم برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم آمنّا في أوطاننا. وأصلح أئمّتنا وولاّة أُمورنا. اللهم احفظ شبابنا من هموم الحياة. وممّا يواجهونه من

الأهوال والصعاب. وجنّبهم اللهم قُرناء السوء. واحفظهم من الفتن ما ظهر منها وما بطن. اللهُم كُن لأهل فلسطين عونًا ونصيرًا، وبدّل خوفهم أمنًا. اللهُم واجبر كسرهم، واشف مرضاهم، وتقبل شهدائهم برحمتك. اللهم إنا لا نملك لأهل بيت المقدس إلا الدعاء. فيا رب لا تردّ لنا دعاء. ولا تخيّب لنا رجاء. وأنت أرحم الراحمين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ